العيون والطلائع الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة في المشرق

أحمد محمد عدوان*

* حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط «العصر المملوكي الأول» من جامعة عين شمس عام ١٩٧٢ م.
يعمل أستاذاً مشاركاً بقسم التاريخ - جامعة الملك سعود بالرياض.

الملخص

يوضح البحث دور العيون والطلائع في الحروب الإسلامية في عصر الخلافة الراشدة، وكيف أن المعلومات التي كانت تجمعها هذه الفئة وتقدّمها للقيادة، تكون أساساً لوضع الخطط العسكرية، وأشار البحث إلى الشروط الواجب توفّرها في هؤلاء الرجال، وإلى أنواع المعلومات التي كانوا يحرصون على جمعها، وإلى حرص الخلفاء على ضرورة بثّ العيون والطلائع في أرض العدو، كما قدّم البحث أمثلة متعددة لتحرّك عيون المسلمين وطلائع في أرض العدو بمساعدة الأدلّاء والقبائل العربية القاطنة في منطقة الحدود، كذلك يوضّح البحث محاولات تسلّل عيون العدو وطلائعه، ووسائل المسلمين لمنع هذا التسلّل إلى أرضهم عن طريق بثّ الحرسات والكمائن، كذلك وضّح البحث تمكن المسلمين من الحفاظ على سرّية تحركاتهم وعدم إظهارها في معظم الأحيان إلى جانب استخدامهم لكلمة السر في معاركهم أو تحرّكاتهم.

ورغم الإجراءات المشار إليها فقد نجحت جواسيس العدو في اختراق الجبهة الإسلامية وتمكّنوا من جمع معلومات كانت سبباً في هزيمة المسلمين في بعض معاركهم، ولم يكن المسلمون يجهلون وجود هؤلاء بين أظهرهم، فقد تمكّنوا في كثير من الأحيان من إلقاء القبض عليهم، وقد عامل المسلمون هؤلاء الجواسيس معاملة طيبة، وكانوا يحاولون الاستفادة منهم أثناء التحقيق معهم، ونجحوا في استمالة الكثير منهم بإدخالهم إلى الإسلام أو إغرائهم عن طريق تقديم المساعدة لهم وتأمينهم مع أهلهم.

تمهيد

إن المتتبع للمعارك العسكرية التي خاضها المسلمون في هذه الفترة والانتصارات التي حقّقوها، ليقف وقفة إعجاب وتقدير للقيادات التي أشرفت ونظّمت وخطّطت وخاضت المعارك معتمدة على أسس ومبادىء ونظم تلقّتها وتعلّمتها من مدرسة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، ولا غرابة في ذلك فهم صحابته وتربّوا على مائدته.

ومن هذه النظم التي أخذوها نظام «العيون والطلائع»، حيث كان المكلفون بالانخراط في هذه الشريحة يقومون بجمع المعلومات عن الأعداء تتضمن عدد جنودهم ونوع سلاحهم وأسلوبهم في القتال والتعرّف على الشخصيات القيادية في المعركة، كما كانت المعلومات التي يجمعونها تتضمن التعرّف على طبيعة الأرض التي ستدور عليها المعركة. وقد أشارت كتب التراث العربي الإسلامي إلى ضرورة إرسال العيون إلى أرض الأعداء للتعرف على أحوالهم التي يتقلّبون فيها ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي أعناقهم نحوها ومن أي الوجوه مأتاهم[١]. وتذكر أيضاً أن أهم ما يبدأ به القتال بث الجواسيس الثقاة في عسكر الأعداء وبلادهم للتعرف على أخبارهم مع السُعات وما عندهم من العدد والعدة وما لهم من المكائد والحيل وكم عدد رؤسائهم وشجعانهم، وما منزلتهم عند صاحبهم[٢]. وإلى جانب جمع المعلومات كانت هناك مهام أخرى، ففي فترة حروب الردة، كانت القبائل مشغولة بالهجوم أو الدفاع، وكانت رسل الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه) تمشي بالوقيعة والتفرقة بين القبائل المعادية أو المتربصة للعداء، وتأتيه بالأخبار من كل مكان فيعمل وهو بصير ويعملون وهم متخبّطون[٣]، إذاً فالتثبيط وتفريق الكلمة كان من المهام التي تسند للعيون، وقد طبّق القائد خالد ابن الوليد ذلك في حروبه مع الفرس حيث ثبّط إخوانه عرب بني شيبان عن الفرس[٤]، وتذكر المصادر أن من مهام الجواسيس أيضا التعرف على رؤساء العسكر، ويدسّ إليهم ما يخدعون به من صلة أو ولاية حتى يغدروا صاحبهم أو يهربوا عنه ويخذلوه عند لقائه.. ويلق بينهم الخلاف حتى يكفيه بعضهم مؤنة

بعض[٥]، ومن المهام التي تقوم بها هذه الشريحة أيضاً العمل على استمالة قلوب الرؤساء عن طريق تقديم الوعود المناسبة أو تقديم الهدايا مقابل الاعتزال وقت اللقاء. هذا ولم تكن مهمة العيون قاصرة على التعرف على أخبار العدو فقط، وإنما كانت هناك عيون من نوع آخر، عيون تتعرّف على أهل البدع والضلال والفساد والمتلصّصين. إن ملاحظة أهل التلصّص والريب ووضع العيون عليهم من قبل أولي الأمر يفيد في انتظام الأحكام، ويأمن الإنسان نتيجته على نفسه وما له وعرضه ودينه[٦]، وهناك عيون لها مهام أخرى، وهي الوقوف على حال الرعية والاطمئنان على أمنها وهدوئها، وكان أولو الأمر يقومون بها أحياناً، فها هو الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان قد خرج لحراسة رفقة نزلت في المدينة، وكان يخاف عليها من اللصوص، وهو الذي نقل لإمرأة فقيرة وأولادها طعاماً أثناء الليل بعد أن وقف على حالتهم[٧]، هذا بالإضافة إلى مراقبة العمّال والولاة وسيرتهم مع العامة، إذ تذكر المصادر أنه من مستحسن السيرة معهم تفقّدهم ببث العيون عليهم ليطلع بذلك على حقيقة حالهم[٨].

أهم الشروط التي يجب توافرها في العيون والطلائع

القيادة عند اختيارها لأفراد العيون والطلائع تتحرى فيهم الصدق والأمانة والإخلاص والجرأة والحيطة والحذر[٩]، وأن يكون لديهم قدرة على إظهار الدهاء والحيل، وحسن التصرف في الأوقات الحرجة، والأهم من كل ذلك أن يتحدّث لغة البلد التي يتوجّه إليها، وكان العدو يحرص على أن تكون عيونه بنفس الصفات، فالقبقلار أحد قادة الروم في أجنادين أرسل عربياً ليأتيه بأخبار المسلمين[١٠]، وبعد دخول يوقنا صاحب حلب الإسلام تمكّن من الدخول إلى بلاد الروم ومقابلة ملكهم والجلوس معه، وكان عيناً للمسلمين عليه، وعندما فكّر عمرو بن العاص في فتح مصر طلب صاحبها من يفاوضه، وكان لدى عمرو غلام من أهل الرملة[١١]، اسمه وردان ويعرف سائر الألسن، وعندما قرّر عمرو أن يفاوض الروم بنفسه اصطحب معه وردان، وطلب منه ألا يظهر لهم أنه يعرف لغتهم، وشعر عمرو أن القوم يتآمرون عليه.. فقال أريد أن أحضر أحد

عشر من رجالي، فقال الملك نقتل أحد عشر بدلاً من واحد. . وعرف عمرو هذا عن طريق وردان[١٢]. وفي أجنادين عام ١٣هـ دعا عمرو رجلاً يتكلّم الرومية وأرسله إلى أرطبون زعيم الروم، وأمره أن يتنكّر ويستمع ما يقول حتى إذا عاد أخبر عمرو بما سمع، وفي الموقف نفسه يذكر الطبري أن عمرو بن العاص قابل أرطبون كأنه رسول[١٣]، وفي ظني أن هذا الأمر ليس غريباً على رجل كعمرو بن العاص الذي له باع طويل في الحروب الإسلامية، والذي تعلّم الكثير من فنونها وحيلها، هذا وكان يوقنا صاحب حلب يسير إلى كل مكان من بلاد الروم ويتحدّث الرومية فيأنس له الأعداء ويخالطهم ويعرف أخبارهم، وقد تمكّن من فتح العديد من المدن والحصون[١٤].

هذا ومن المعروف أن القائد عمرو بن العاص في حروبه مع الروم كان لديه في معظم الأحيان طائفة من الجواسيس يتحدّثون الرومية وكان يرسلهم متنكّرين[١٥]، وعندما وقع في يده بعض الأسرى في معركة مرج الصفر عام ١٤هـ كان من بينهم رجل له شأن، فعرض عليه الإسلام فتكلّم بالرومية رافضاً الدخول في الإسلام، فقال خالد ما يقول هذا. . فقال بعض الجواسيس إنه يقول كذا وكذا. .[١٦]. أما بالنسبة لرجال الطلائع، فبالإضافة إلى ما ذكرناه لابدّ أن تكون خيولهم سوابق جيدة الظهور والحوافر، لايلبسون الدروع ولايحملون التروس. . وليس عليهم إلا أن يأتوا بالخبر، ولا يباشروا اللقاء إلا عند الضرورة ولايكونوا أقل من ثلاثة[١٧].

الخلفاء يحرصون على بثّ العيون والطلائع

نهج أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نهجه، فاهتموا بإرسال العيون والطلائع، وأوصوا قادتهم بضرورة اتخاذ الأدلاء والجواسيس والطلائع وأخذ الحذر والحيطة وكتم أسرارهم ومعرفة أسرار العدو، كما كانوا يوصونهم بألا يقاتلوا بمجروح ويحذروهم من البيات وأن يقلوا من الكلام[١٨]، ويحذروا رجالهم من إطالة بقاء رسل العدو بينهم ويؤكدون على ضرورة خروجهم وهم جاهلون بأخبار المسلمين[١٩]، كما أكّدوا على إرسال الطلائع في مقدمة الجيوش.

إن الدارس لوصايا الخلفاء (رضوان الله عليهم) يتبيّن له أنها تلفت انتباه القادة إلى أهمية استكشاف مواقع العدو للتعرّف على أخباره بواسطة العيون الصادقة المخلصة وإنها تطلب عدم إرسال السرايا إلى أماكن غير معروفة أو مدروسة يخشى على المسلمين فيها الضياع أو الهزيمة[٢٠]، وأن يوافوهم دائماً بتقرير كامل عن الموقف العسكري، فهاهو الخليفة عمر (رضي الله عنه) يطلب من قائده سعد أن يصف له منازل المسلمين والبلد الذي بينهم وبين المدائن ويقول له: صفه لي كأني أنظر إليها، واجعلني بكتبك إلي كأني أنظر إليكم، واجعلني من أمركم على الجلية[٢١]، ويذكر أنه كان للخليفة عمر عيون في كل جيش تكتب إليه[٢٢]. ولم يكن اهتمام الخلفاء مقتصراً على متابعة معاركهم العسكرية وحسب وإنما كان اهتمامهم بالداخل لايقلّ بحال من الأحوال عن الجبهة الخارجية، وقد ذكر أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) كان علمه بمن نأى من عماله ورعيته كعلمه بمن بات معه على مهاد واحد[٢٣]، ولم يكن له في قطر من الأقطار ولا ناحية من النواحي أمير ولا عامل إلا وله عليه عين لايفارقه، فكانت أخبار النواحي كلها عنده كل صباح ومساء حتى إن العامل كان يتوهّم على أقرب الخلق إليه وأخصهم به[٢٤]، وقد علّق بعضهم على ذلك بقوله كان لعمر عيون على الناس عجيبة[٢٥]، ولا غرابة في ذلك فإن حرص الخليفة كان واضحاً، كان (رضي الله عنه) يأخذ درته ويمشي في الأسواق يتفقّد أمور رعيته، وكان يمشي ليلا في سكك المدينة مع عبد الرحمن بن عوف وغيره من الصحابة ويحفظ عورات المسلمين[٢٦]، وعندما سأله عبد الرحمن بن عوف ذات مرة وكان قد خرج ليلاً ما جاء بك في هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟

قال: رفقة نزلت ناحية السوق خشيت عليهم سراق المدينة فانطلق لنحرسهم[٢٧]، وقد شكت طائفة من الناس سعد بن أبي وقاص فتحرّى الخليفة عمر الأمر وتبيّن له في النهاية زيف ما نقل إليه عن سعد[٢٨]، وقيل للخليفة المأمون مالك في الخلفاء شبه إلا الخليفة عمر بن الخطاب فإنه كان يفحص عن عماله وعن أسرار حكّامه فحصاً شافياً، فكان لايخفى عليه مايفيد كل امرىء وما ينفق وكان من نآى عنه كمن دنى منه[٢٩].

وقد سلك الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) المسلك نفسه من الحرص على الرعية والاطمئنان على أحوالها، حيث كان يحرص على جمع الأخبار حتى في أوقات تواجده في المسجد لتأدية الصلاة، فقد كان يحدّث الناس ويسألهم ويستخبرهم عن الأسعار والأخبار وكان يفعل هذا يوم الجمعة على وجه الخصوص[٣٠].

عيون المسلمين وطلائعهم في أرض العدو

إن دراسة الرسائل الموجّهة من الخلفاء إلى قادتهم، توضّح مدى اهتمام الخلفاء بالأمور العسكرية وحرصهم على تحقيق النصر بأقل مايمكن من الخسائر، إذ كانوا يرسمون لقادتهم الخطوط العامة التي يسيرون عليها ويوصونهم برعاية جندهم والرفق بهم ومشاورة أهل الرأي منهم وكان قادة الميدان لايترددون في تنفيذ ذلك اللهم ما يراه القائد من مستجدات قد تطرأ على أرض المعركة.

ففي حروب الردة، نجد القائد العلاء بن الحضرمي[٣١]، الذي كلف بالتوجّه إلى المرتدّين في البحرين، عندما سمع ضوضاء في عسكر المشركين كلّف عبد الله بن حذفان أن يأتيه بخبر القوم، فخرج حتى دنى منهم فقبضوا عليه، لكنه تمكّن من الإفلات منهم بواسطة أحد أقاربه في معسكر العدو وعندما سار إلى معسكر المسلمين أخبرهم بأن القوم سكارى.. فخرج المسلمون عليهم وهزموهم[٣٢].

وعندما سار القائد خالد بين الوليد للقضاء على طليحة الذي تنبّأ، كان طليحة قد أرسل عيوناً له حين سار خالد من المدينة فعرفوا بمقدمه، وكان خالد بدوره قد أرسل عيونه إلى طليحة[٣٣]، وعندما انتهت حروب الردة، سار المثنى ابن حارثة حتى قدم المدينة على الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) واستأذنه أن يؤمره على قومه فوافق الخليفة على ذلك[٣٤]، ويبدو أن المثنى كانت له اليد الطولى في تنظيم الاستخبارات في هذا الميدان ليس بسبب قدرته وكفاءته وحسب، ولكن لأنه كان ينتمي إلى بني شيبان من بكر بن وائل الذين كانت منازلهم بتخوم العراق وحوض الفرات، فكانوا بحكم منازلهم واتصالهم مادة صالحة وطيبة لأن

يكونوا عيوناً للمسلمين، لهذا كانت المعلومات تصل أولاً بأول للقيادة الإسلامية عن تحركات الفرس، وحتى عما كان يدور في بلاطهم[٣٥]، كذلك كان خالد يعتمد على استخباراته في هذا الميدان، فعندما اقترب من حصن الأنبار علم من عيونه أن القوم لاخبرة لهم بالقتال فأمر رجاله أن ارموا عيونهم ولاتوخوا غيرها[٣٦]. ومن تتبّعنا لسيرة القائد خالد نجده يشترط على من يدخل في ذمة المسلمين أن لايدل العجم على عورات المسلمين ولهم بذلك عهد الله وميثاقه وإن خالفوا فلا ذمة لهم ولا أمانة[٣٧]. وفي طريقه إلى الحيرة أمر خالد بن الوليد كوكبة من الفرسان أن تسير أمامه وكانت من بني شيبان بقيادة المثنى بن حارثة[٣٨]، وحمى ظهره باستخلاف سويد بن قحطبة الذهلي وآخرون، وكان هناك من يراقب له أسفل دجلة وشط العرب[٣٩]، ويذكر أن أهل الحيرة كانوا متهمين بتجسسهم لحساب المسلمين، إذ اتهمهم رستم بأنهم فرحوا بدخول العرب أرض فارس وأنهم كانوا عيوناً لهم[٤٠]. وبعد معركة الجسر عام ١٣هـ/ ٦٣٤م وهزيمة المسلمين فيها ظنّ الفرس أن شوكة المسلمين قد انكسرت، وأتت عيون المثنى تخبره بذلك[٤١]، وكانت عيون المثنى أيضاً قد أخبرته بتحرك مهران في المدائن إلى الحيرة[٤٢]، والمثنى نفسه هو الذي وضع المسلحة وأذكى العيون عندما ودّع خالد الذي انتقل إلى الشام[٤٣]، و عندما نزل المثنى وجنده على شاطىء الفرات ومهران على الجانب الآخر، قدم عليه نصارى العرب من تغلب والنمر وقالوا نقاتل مع قومنا[٤٤]، هذا وكان للنعمان بن مقرن من يتجسس له على أخبار الفرس[٤٥]، وفي أثناء فتوح الشام استفاد المسلمون من الأنباط هناك، فها هو أبو عبيدة يخبره خالد بأن جواسيس المسلمين من أنباط الشام قد جاءوا إلى أبي عبيدة وأخبروه أن أهل بعلبك في عشرين ألفا سينضمون للروم في فلسطين[٤٦]، ثم إن جواسيس آخرين أخبروا خالد بن الوليد بأن البطريق قائد الروم جاء ليأخذ الميرة والعلوفة، ودلوهم على طريقه فتمكن منه المسلمون وأخذوا ما معهم، ويذكر أن خالد ابن الوليد عندما فرق جيشه في أرض الشام بقى هو وأبو عبيدة (رضي الله عنهما) في غوطة دمشق.. ثم رتب الجواسيس في أرض الشام ليتجسسوا له أخبار الروم... وبينما هو كذلك إذا بجاسوس قد أقبل وأخبره

بتجمع الروم في أجنادين[٤٧]، وفي حصاره لمدينة دمشق نمى إلى خالد بأن البطريق الذي على أهلها ولد له مولود فصنع له طعاماً، فأكل القوم وشربوا وتركوا مواقعهم ولا يعلم بذلك أحد من المسلمين إلا ما كان من خالد فإنه كان لا ينام ولا ينيم ولا يخفى عليه من أمورهم شيء[٤٨]، وقد جاءته الجواسيس وحذّرته أن جيش الروم قد أقبل معونة لأهل دمشق[٤٩]، وبعد فتح حمص جمع الروم جموعهم ودخلوا المدينة بقيادة ماهان، وعندما علم أبو عبيدة بذلك دعا بجاسوس من جواسيسه أن يسير متنكراً حتى يأتي أرض حمص، فسار الجاسوس إلى هناك وعاد فأخبر أبا عبيدة وأكّد له وصول ماهان إلى حمص[٥٠]، وفي معركة اليرموك، كان لأبي عبيدة في جيوش الروم عيون وجواسيس من المعاهدين يتعرّفون له الأخبار، فلما وصل جيش الروم إلى شيزر[٥١]، فارقتهم عيون أبي عبيدة والتحقوا بالمسلمين، وأخبروا أبا عبيدة بما رأوه من عظم الجيوش والعساكر.. ويذكر أن أبا عبيدة أرسل روماس صاحب بصرى[٥٢]، ليعرف له عدد العدو.. فذكر روماس لأبي عبيدة أن عددهم ألف ألف وشك روماس أن الأعداء يتحدثون بذلك ليسمع جواسيس المسلمين ويحدثوا بذلك، وعندما اقترب الطرفان المسلمون والكفار، دعا أبو عبيدة جواسيسه من المعاهدين وأمرهم أن يدخلوا عساكر الروم يجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم.

هذا وقد استفاد المسلمون من النصارى الذين دخلوا الإسلام، حيث كانوا يقومون بعملية التجسس بسهولة وقد ذكرنا لذلك بعض الأمثلة، علاوة على ما قام به يوقنا صاحب حلب الذي تمكّن في هذه المرة من مقابلة ملك الروم فأكرمه وقدمه بعد أن أوهمه بأنه ما زال على النصرانية، وأخذ يوقنا يتصل ببعض من قادة الروم ويعمل على استمالتهم وتحريضهم ضد ملك الروم، وكان من بين الذين تمكن من استمالتهم قائد يقال له فلنطاس[٥٣]، هذا وقد حرص المسلمون على الاستفادة من المعاهدين وغيرهم، فقد حدث أنه بعد فتح حلب استمر المسلمون في فتوحاتهم، حيث أرسل أبو عبيدة مع المسلمين أدلاء يعرفون الطريق، ويكونوا لهم عيوناً على أعدائهم، فطلب لهم من أهل حلب من المعاهدين من يكون ناصحاً لهم، فاختاروا أربعة وأعطاهم أبو عبيدة وأحسن لهم وطرح عنهم الجزية[٥٤]، وفي طريقهم إلى

مصر سمع المسلمون حساً عن بعد، وكانت ليلة مظلمة كلف ناصر بن ثابت باستطلاع خبرهم وأدى ناصر مهمته بنجاح وتمكّن المسلمون من هزيمة العدو(٥٥)، وفي خضم هذا الحدث، وقع عرب من متنصرة الشام من آل غسان جاءوا لنصرة المقوقس صاحب مصر في كمين أعده لهم المسلمون، وقام المسلمون بلبس الخلع التي أرسلها لهم المقوقس، وكذلك بقية ملابس المتنصرة. . . وأعطاهم أحد أصحاب الأديرة وكان قد مالأهم صلباناً حتى تكتمل الحيلة وأوكلوا بالدير عشرة من المسلمين لئلا يخرج أحد بأخبارهم، وتمكّن المسلمون من الدخول وحققوا هدفهم(٥٦)، وكثيراً ما تمكّن المسلمون عن طريق عيونهم من معرفة سير قوات العدو، وتمكنوا من نصب كمائن لها وأوقعوا بها خسائر فادحة، وأحياناً كانت تصل الأخبار من عيون المسلمين من بني طي ومذحج وكانوا يتزيون بزي العرب المتنصرة(٥٧). هكذا كانت عيون المسلمين، نشاط دائم وحرص مستمر، وتضحية في سبيل الله، إذ كانت المعلومات التي يجمعونها أساس الخطط العسكرية التي ترسمها القيادة وتحقق الانتصار تلو الآخر على أعداء الله. ويبدو أن هذا النشاط كان موجوداً أيضاً في الحرب الأهلية التي اندلعت بين الخليفة علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، حيث كان لكل منهم استخبارات خاصة تنقل إليه الأخبار. فالخليفة علي رضي الله عنه حذَّر أكثر من مرة من جواسيس كانوا يتجسسون لحساب معاوية(٥٨)، وكان رضي الله عنه مهتماً بأمر العيون والطلائع لتحقيق الأمن لقواته، ففي توجيه له لبعض قادته يذكر بأن «مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم، فإذا أنتما خرجتما من بلادكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نقض الشعاب والشجر من كل جانب، كي لا يغتركما عدو أو يكون لكم كمين. . وإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم في قبل الإشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كي ما يكون لكم رِدْءاً. . واجعلوا رقباءكم في صياصي الجبال وبأعالي الأشراف ومناكم الهضاب يرون لكم لئلا يأتيكم عدو من مكان مخافة أو آمن. . وليكن عندي كل يوم خبركما ورسول من قبلكما»، هذه الوصية أو الرسالة توضح اهتمام أمير المؤمنين وحرصه على قواته من خلال توفير العيون والطلائع التي تجمع معلومات عدة، وتراقب تحركات العدو وتمنعه من

اختراق الصفوف بينما يحرص على أن تكون عيونه وسط أعدائه، كما فعل معاوية بن الضحاك، فقد كان مع معاوية بن أبي سفيان، ويكتب بالأخبار إلى الخليفة علي رضي الله عنه[٥٩]، ويذكر أن معاوية وصلته ثلاثة أخبار في ليلة واحدة من مصر والشام والكوفة[٦٠]، وهذا دليل على أن عيوناً له كانت نشطة في الأمصار المختلفة، وهذا قبل ولايته للخلافة، كذلك أرسل معاوية إلى أحد رجاله يحذره من رجل يبدو أنه كان مقرباً له وطلب منه إبعاده ظناً منه أنه كان عيناً عليهم[٦١].

بعد هذا الاستعراض لحركة العيون والطلائع الإسلامية والمهام التي كانت تسند إليها، لا بد أن نشير إلى أن المسلمين كانوا يحاولون الحفاظ على هوية جواسيسهم ويحرصون على عدم الكشف عنهم أو تعريف بعضهم بالبعض الآخر وأن تتم مقابلتهم بشكل سري وعلى قدر الإمكان[٦٢]، ويبدو أن هذا الإجراء كان متبعاً نظراً لإدراك المسلمين إن احتمال وجود جواسيس للعدو بين أظهرهم أمر وارد.

أما بالنسبة للطلائع فكان حرص المسلمين على إرسالها لا يقل عن حرصهم على إرسال العيون، إدراكاً لأهميتها وللدور الذي كانت تقوم به في استكشاف مواقع العدو، بقصد الوقوف على أخباره ومعرفة مواطن الضعف والقوة عنده بالإضافة إلى تحطيم مرافق العدو وقطع خطوط مواصلاته ومنع وصول العون أو المدد إليه، لأن المعروف أن قطع المدد والعون نتيجته وخيمة وخطيرة، وكان يطلب من قادة المسلمين عدم إرسال السرايا إلى أماكن غير معروفة أو مدروسة يخاف عليها فيها الهزيمة أو الضياع[٦٣] وكان يطلب من الطلائع عدم المبادرة بالقتال إلا إذا اضطروا إلى ذلك[٦٤] ولا شك أنه كان لإرسال الطلائع أثر كبير في تحقيق الانتصارات التي أحرزها المسلمون على أرض المعارك التي خاضوها، فقبل وقوع معركة القادسية أرسل سعد بن أبي وقاص قائديه عمرو بن معدي كرب وطليحة الأسدي طليعة، سارا في عشرة أفراد، واستكشفوا أمر العدو[٦٥]، وكذلك فعل المثنى بن حارثة عندما فكّر في شن غارة على سوق بغداد، حيث قام ببعث الطلائع، فأقاموا على الطريق يمنعون الناس ويحبسونهم حتى لا تسبقه الأخبار[٦٦] وفي بلاد الشام سار عبدالله بن عمر وسهيل بن عمرو على رأس طليعة إسلامية، التقت بطليعة للعدو أرسلت لكشف خبر المسلمين فكانت اليد

العليا للمسلمين[٦٧]، وكذلك الأمر بعد وصول قوات خالد من العراق ليشارك في معركة اليرموك دعاه أبو عبيدة أن يسير الجيش بقيادته ويكون على طلائع المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم.. ونزل أبو عبيدة اليرموك.. وعمد إلى نساء المسلمين وأولادهم فأصعدهم على تل عظيم وأقام الحراس والطلائع على سائر الطرقات[٦٨].

منع عيون العدو

اتخذ المسلمون الإجراءات والاحتياطات الكثيرة لمنع عيون العدو من اختراق صفوفهم ونقل المعلومات عنهم، ومن هذه الإجراءات.

الحراسات

الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) جعل على أنقاب المدينة حراساً يبيتون بالجيوش حولها وخاصة عندما وقعت حركة الردة[٦٩]، وكثيراً ما كان يؤكد (رضي الله عنه) على ضرورة وجود الحراسات وتنظيمها وتقسيم الخدمة فيها، والتفتيش على الحرس للتأكد من يقظتهم ويؤكد على مسؤولية القائد ويشير إلى معاقبة الإهمال ولكن في غير تفريط[٧٠]، وزيادة في الحرص فقد كان الخليفة عمر (رضي الله عنه) ينهى الأعاجم عن دخول المدينة خشية التجسس على المسلمين لأن أيامه كانت أيام حروب مستمرة[٧١]، أما الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فيحذر رجاله ويطلب منهم الاهتمام بأمر الحراسة، وأن يجعلوا رقباءهم في صياصي الجبال وبأعالي الأشراف ومناكب الهضاب[٧٢]، وفي طريقه لمقابلة الفرس كلف المثنى جماعة للحراسة فأخذوا مواقعهم وبعث الطلائع فأقاموا على الطريق يمنعون الناس ويحبسونهم حتى لا تسبق الأخبار[٧٣]، وبعد أن فتح المسلمون بصرى تولى الحراسة عبدالرحمن بن أبي بكر ومعمر بن راشد ومائه من جيش الزحف[٧٤]، وكذلك الأمر عند فتح دمشق، إذ طلب خالد بن الوليد من بعض رجاله أن يطوف حول المدينة بعسكرهم، وأن يخبروه إذا لاحت لهم عيون العدو وبات الناس يتحارسون إلى الصبح[٧٥]، وفي اليرموك يذكر أن أبا عبيدة دعا بجيش خالد القادم

من العراق. . أن يسير بقيادة خالد، ويكون على المسلمين وحرسهم من وراء ظهورهم. . ونزل أبو عبيدة باليرموك وأقام الحراس من الطلائع على سائر الطرقات[٧٦]، وفي أثناء المعركة وبعد أن انفصل الجمعان ذات ليلة لم يقل أبو عبيدة لأحد من المسلمين من يكون الليلة على حرس المسلمين، لما عندهم من التعب، بل إنه تولى الحراسة بنفسه ومعه جماعة من المسلمين. . . وبينما هو يدور رأى الزبير بن العوام وزوجته أسماء يقومان بالحراسة دون تكليف من أحد فشكرهما على ذلك[٧٧]، وكذلك قام عمرو بن العاص بحراسة المسلمين مع كبار قادته وهم في طريقهم إلى فتح مصر فكان عمرو في أول الليل يطوف حول العسكر ومعاذ إذا انتصف الليل، ويزيد بن أبي سفيان في آخر الليل[٧٨].

ومن خلال التجارب التي خاضها المسلمون في معاركهم المختلفة، أدركوا أهمية بثّ العيون نهاراً وإقامة الحرس ليلاً وأهمية تحصين المضارب وأهمية أن تكون الشمس معهم عند اللقاء، والريح معهم وقت الهجوم، والماء والكلأ معهم عند النزول[٧٩].

الكمائن والتخفي

وكانت الكمائن تقام في أماكن مختلفة لمفاجأة العدو وعرقلته إذا اقترب من معسكراتهم، وكان لظهورها أثر كبير في نفوس الأعداء حتى وإن كان عدده قليل فإنه إذا ظهر أثرّ في القلوب رعباً، وفي الأعضاء ضعفاً وفي العقل جموداً، وفي الإقدام وقفة[٨٠]، لهذه الأسباب اهتم الخلفاء بأمر الكمائن وعدم إفشاء الأسرار ومحاولة معرفة عورات العدو مع عدم تمكينه من ذلك[٨١]، من الأمثلة العملية على تطبيق هذه المبادىء، أن الخليفة الصديق رضي الله عنه عندما وجه خالد لقتال المرتدين، أعلن أنه يريد خيبر، وذلك لأجل أن يدهم العدو على حين غرة، دون أن تتمكن عيونه من نقل الأخبار الحقيقية إليه[٨٢]، وكذلك فعل المثنى عندما أغار على سوق الخنافس، فقد بدا للناس كأنه في بعض قواته لمطاردة في سوق العراق، وإمعاناً في التمويه فقد قطع السواد من الحيرة[٨٣]، متّجهاً إلى أليس[٨٤] - من قرى الأنبار - جنوباً بشرق ثم استدار منها غرباً إلى الصحراء حيث اختفى عن العيون وأسرع شمالاً نحو الخنافس[٨٥]، وعندما أراد المسلمون

فتح حصن أبي القدس أمرهم القائد عبدالله بن جعفر أن يكمنوا، ويذهب ليجس خبر القوم، ونجح المسلمون في هزيمة الروم[٨٦] وكذلك الحال في فتح حصن الرستن[٨٧]، حيث كمن المسلمون حول الحصن، وفي فتح رأس العين كمن المسلمون لعدوهم. . ثم هاجموهم فلم يفلت منهم أحد. وكان القائد قد أوصى أصحابه بكتمان نواياهم. . مخافة من جواسيس الروم[٨٨]، وفي فتح أفريقية فرق عبدالله بن سعد الكمائن في الأودية والأماكن، وعندما تقابل أهل أفريقية مع المسلمين خرجت عليهم الكمائن وقتل منهم مقتلة عظيمة، واضطر ملكهم جرجير إلى طلب الصلح[٨٩]، كذلك لجأ المسلمون إلى وسيلة التخفي أثناء تحريك بعض قواتهم لاستطلاع أخبار العدو أو مهاجمة قلعة من القلاع أو مدينة من المدن، ففي أثناء فتح دمشق، طلب الدليل من بعض القوات الإسلامية أن يلبسوا زي لخم وجذام وهم من نصارى العرب، وذلك للتعمية، فكانوا كلما دخلوا بلداً من بلاد الروم يظنون أنهم من العرب المتنصرة[٩٠]، وقد أدرك المسلمون أهمية التخفي حتى بالنسبة لقادة جيوشهم إذ على القائد أن يخفي العلامة المشهور بها، فإن عدوه قد يستعلم حيلته وألوان خيله ورايته، ولا يلزم خيمته ليلاً ولا نهاراً وليبدل خيمته كي لا يلتمس عدوه غرة فيه، وإذا سكنت الحرب فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره، فإن عيون عدوه متجسسة عليه[٩١].

كذلك اتّخذ المسلمون الأدلاء حتى يتجنّبوا الوقوع في كمائن العدو، فها هو القائد خالد بن الوليد عندما خرج من اليمامة إلى العراق فرق جنده لكل منها دليل أو أكثر[٩٢] وبعد البويب حمل المسلمون غنائم كثيرة، وأرسلوا بها كمساعدات إلى بعض الأسر في الحيرة وغيرها، واستخدموا عمرو بن عبدالمسيح دليلاً لهم في الطريق[٩٣] وفي طريقه إلى سوق الخنافس كان المثنى معه دليلان أحدهما من الأنبار ليدله على الخنافس والثاني من الحيرة ليكمل له الطريق[٩٤] وفي غارته على بني تغلب دله أحد الأسرى مقابل تأمينه على أهله وماله[٩٥] وكذلك يجب الإشارة إلى الدليل الذي دلّ القائد خالد بن الوليد في طريقه من العراق إلى الشام[٩٦]. هذا وكان المسلمون قد استفادوا من أنباط الشام والمعاهدين وكانوا يدلونهم على عورات العدو، كما حدث مع أهالي دلوك ورعبان عندما صالحهم

المسلمون واشترطوا عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم ويكاتبوا بها المسلمين[٩٧]، وكذلك فعل الجراجمة مع المسلمين عندما وصلوا إليهم فبادروا بطلب الأمان والصلح.. على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً ومسالح في جبال اللكام - وهو جبل تقع عليه مدينتهم جرجومة[٩٨] - وها هو القائد أبو عبيدة رضي الله عنه يستخدم بعض المعاهدين من أهل حلب ليكونوا عيوناً للمسلمين على أعدائهم، وفي فتحهم لجزيرة أرواد[٩٩] اتخذ المسلمون دليلاً من الروم كان معهم في المراكب[١٠٠] وبصفة عامة اتخذ المسلمون إجراءات أخرى متعددة لحماية حدودهم من الاختراق، فقد أمر الخليفة عمر (رضي الله عنه) بإقامة الحصون والمعسكرات الدائمة لراحة الجند في الفتوحات، وخصوصاً في الطرق حيث يقطعون المسافات الطويلة، وهو الذي أمر بإقامة الحاميات على الحدود لصدّ هجمات العدو المفاجئة وجعل في الجيش فئة معروفة في عملها وأوصافها وكمية أرزاقها[١٠١]، وقد كتب إليه معاوية رضي الله عنه يصف حالة السواحل، فكتب إليه الخليفة عمر يطلب منه ترتيب المقاتلة فيها وإقامة الحراس على منائرها واتخاذ المواقيد لها، وكان المسلمون كلما فتحوا مدينة ظاهرة أو عند السواحل رتّبوا فيها قدر ما تحتاج إليه من المسلمين.. فلما استخلف عثمان كتب إلى معاوية يأمره بتحصين السواحل وشحنها[١٠٢]، وكذلك فعل الخليفة عثمان (رضي الله عنه) عندما أغار الأحباش على سواحل المسلمين أمر بشحن الرجال والسلاح والأموال[١٠٣]. ومن وسائل حجز المعلومات عن العدو، استخدام كلمة السر أو شعار يكون لكل فرقة يتداعون فيه عند الحرب، فلا يعرفه العدو، فكانت نداءات المسلمين عندما يبدأ القتال - النفير.. النفير وهي علامة الهجوم والخيل الخيل.. إذا أرادوا ركوب الخيل.. والأرض الأرض عندما يرتجلون وكان النداء العام الذي يجتمع حوله الجميع الله أكبر، ففي معركة اليرموك كان شعار أبي عبيدة أمت أمت، وشعار عبس يا لعبس، وشعار اليمن من أخلاط الناس «يا أنصار الله» وشعار خالد ومن معه يا حزب الله، وشعار حمير الفتح الفتح[١٠٤]، ويلخص الأسدي هذه الإجراءات بقوله «ومن أجل تحرير السياسة الكلية في الأمور السلطانية اعتمد الملوك على ما وضعوه من الإدراك المترصدة والعيون الدائرة والمركزة، والرسل

الخفية للحوائج المقضية ونقل الأخبار الصحيحة بالعبارات الفصيحة، والخيول المسرجة للبريد، والرسل الظاهرة للأمور المتواترة»[١٠٥].

عيون العدو

رغم الإجراءات التي أشرنا إليها، إلا أن عيون العدو تمكّنت من التسلل واختراق صفوف المسلمين، فعندما توجه خالد بن الوليد لقتال طليحة الأسدي، أرسل طليحة من يتجسس على خبر خالد وجيشه، فجاءته الجواسيس بأخبار خالد[١٠٦]، وفي حربهم ضد الروم انقض عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) على رجل قال فيه: «إن يكن لهذا الجيش عين، فهذا عين الجيش وصاحب الطلائع فقتله»[١٠٧]. وفي حصار دمشق قال خالد لضرار بن الأزور «تطوف حول المدينة بعسكرك وإن داهمك أمر أو لاحت لك عيون العدو فأرسل إلينا»، وقد وقع في يد المسلمين بعض من عيون العدو أثناء حصارهم لمدينة دمشق[١٠٨]، وفي معركة أجنادين أرسل الروم عربياً إلى المسلمين يأتيهم بخبرهم، فدخل فيهم وأقام يوماً وليلة ثم عاد إليهم، فسأله قائد الروم، ما وراءك؟ فقال بالليل رهبان وبالنهار فرسان. فقال: «إن كنت صدقتني لبطن الأرض خير لي من لقاء هؤلاء على ظهرها»[١٠٩] وفي مقابلة مع الخليفة عمر ووالية على الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وقد أنكر الخليفة على معاوية المظهر الذي رآه عليه من أبهة، فبرر معاوية ظهوره بهذا المظهر بأنه في بلاد كثر فيها جواسيس العدو، فإن لم نتخذ العدد والعدة استخف بنا وهجم علينا[١١٠]، وفي أثناء الحصار لمدينة حمص كان للروم في عسكر المسلمين جواسيس يأخذون الأخبار[١١١]. وهكذا نشاط دائم لعيون العدو لا ينقطع وصفوف المسلمين تخترق المرة تلو الأخرى، ففي أثناء فتح حلب كان صاحبها قد أقام أمامه العيون يأتونه بالأخبار، فأتته جواسيسه يخبرونه أن خيول العرب تريده.. فتمكّن من مفاجأة العرب[١١٢]، ويذكر أن جواسيس صاحب حلب كانت تأتيه بالأخبار في الليل والنهار، وكان معظمهم من متنصرة العرب، لأنهم كانوا يحسنون الرومية[١١٣]، وكانوا سبباً في هزيمة المسلمين حول حلب، وعندما وصلت الإمدادات الإسلامية إلى أرض المعركة، وشاهدت القتلى،

أقسم أهل الوادي الذي دارت فيه المعركة أنهم لا يعرفون القتلة.. وقالوا «إن للبطريق في عسكركم عيوناً يخبرونه بما أنتم فيه كل ساعة»، ويبدو أن كلام هؤلاء كان صحيحاً بدليل حديث القائد (أبو عبيدة) إلى (خالد بن الوليد) ذات مرة «بأن جواسيس عدو الله تكشف أخبارنا».. وطلب منه أن يتجوّل في معسكر المسلمين عله يقع على جماعة منهم في صفوف المسلمين، وبالفعل تمكّن القائد خالد بن الوليد بفطنته من الكشف عن بعض منهم، وقد اختلطوا بجيش المسلمين[١١٤] وفي أيام القادسية تمكّن المسلمون من أحد عيون العدو الفارسي[١١٥]. ومن الجدير بالذكر أن ننبه هنا إلى أن عيون العدو لم يكونوا على وتيرة واحدة، وإنما كانوا أحياناً على هيئة رسل، فإلى جانب مهمتهم كرسل كانوا يقومون بأعمال التجسس، وقد أدرك المسلمون ذلك، فالخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه حذّر قائده يزيد من هذا الأمر: «وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم، حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا ترينهم، فيروا خللك ويعلموا علمك[١١٦]». وكذلك كان الحال على جبهة الفرس، فعندما نزل رستم النجف، بعث منها عيناً إلى عسكر المسلمين، فانغمس فيهم في القادسية فرأهم يستاكون عند كل صلاة، فرجع إليه فأخبره خبرهم وسيرتهم، حتى سأله عن طعامهم، فقال مكثت فيهم ليلة، والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أنهم يمصون عيدانهم حين يمسون وحين ينامون[١١٧]، وهكذا نرى أن العدو يحاول بين الحين والآخر اختراق صفوف المسلمين ويتمكّن من ذلك رغم الإجراءات الإسلامية التي أشرنا إليها.

معاملة جواسيس العدو

سار المسلمون على النهج الذي طبقه الرسول (صلى الله عليه وسلم) في معاملة الأسرى والجواسيس، فقد حرص عليه السلام على معاملتهم معاملة حسنة، حتى يتمكّن من الاستفادة منهم، ومن المعلومات التي يحملونها، وكان لهذه المعاملة نتائج طيبة في كثير من الأحيان، فالقائد خالد بن الوليد رضي الله عنه أثناء انتصاره على بني حنيفة في حروب الردة، أبقى على حياة قائد طليعة

العدو مجاعة بن مرار لينتفع به في مهام حربية[١١٨]، وفي معركة اليرموك نجح المسلمون في استمالة رجل رومي يقال له الجعيد، فقالوا له نعطيك كذا وكذا ولا تؤدي الجزية أنت وأهل بيتك ونكتب لك بذلك عهداً إلى آخر عقبك، ونجحت المهمة وقتل من الروم آلافاً مؤلفة[١١٩].

وقد تمكّن خالد بن الوليد رضي الله عنه من كسب رجل جاء ليدبر مكيدة له، وقد أمنه خالد وأهله وأولاده، بعد أن أخبره عن كمين أعدّه له الروم، وفي حصار دمشق نجح المسلمون في كسب أحد الأسرى، وأصبح دليلاً لهم، وعفى عن آخر عندما دله على قائد الروم، هذا وقد استمال المسلمون رومانوس صاحب بصرى ومكّنهم من فتح المدينة، وفي أثناء حصار المسلمين لحصن أبي القدس تقدّم أحد رجالات العدو وكان المسلمون قد أحسنوا إليه وأمنوه على أهله وماله.. فدلّهم على مواقع القوم وهزموهم وغنموا الكثير[١٢٠]، وفي أثناء فتح فيسيارية أتى رجل إلى المسلمين ليلاً فدلّهم على طريق في سرب فيه الماء فدخل منه المسلمون إلى المدينة وفتحوها، وكان ذلك مقابل أن أمنوه وأهله[١٢١]، ويذكر أن المسلمين قبضوا على جاسوس فقتلوه، وعرف القائد عمرو بن العاص بالأمر، فغضب، وحذرهم من تكرار هذا السلوك[١٢٢]، وفي فتحهم لمصر كان للمسلمين جواسيس في كل إقليم وكانوا يحسنون إليهم وينقلون إليهم الأخبار، وقد تمكّن المسلمون بواسطة هؤلاء من القبض على مجموعة من عسكر الروم، وبعد التحقيق معهم أعطوهم الأمان ودلوهم على طريق فتحوا منها مريوط[١٢٣]، وهذا نفس ما حدث في فتح مدينة تستر، إذ جاء رجل فارسي إلى أبي موسى الأشعري وطلب منه الأمان لنفسه وماله وأهله مقابل مساعدتهم في فتح المدينة فوافق القائد أبو موسى وبعث معه رجلاً يتعرّف على الطريق، وتمّ ذلك وفتح الله تستر للمسلمين[١٢٤]، وفي القادسية جاء إلى القائد سعد بن أبي وقاص رجل من أهل المدائن فقال أدلكم على طريق تدركونهم قبل أن يمضوا في السير فدلّهم وتمكن المسلمون من عدوهم[١٢٥].

وخلاصة القول، أن الانتصارات الحاسمة التي حقّقها المسلمون في هذه الفترة القصيرة زماناً والواسعة مكاناً. لم تأت من قبيل الصدفة أو التواكل، وإنما أعدّوا للأمر عدّته فأحسنوا الإعداد، وخطّطوا بدقة فأحسنوا التخطيط، واختاروا

للمهمات الصعبة رجالاً أكفاء توافرت فيهم الشروط اللازمة التي تتناسب وخطورة مهامهم. . .

الهوامش والمراجع

(١) القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ): **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، جـ ١٠، القاهرة: دار الكتب المصرية، المطبعة الأميرية، ١٣٢٤هـ/ ١٩١٦ ، ص ٢١٢.

(٢) الفارابي، محمد بن محمد بن طرفان (ت ٣٣٩ هـ): **مجموع في السياسة**، تحقيق: فؤاد عبدالمنعم، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، ١٤٠٢هـ ، ص ٨٥.

(٣) العقاد، عباس محمود: **عبقرية خالد**، القاهرة: دار المعارف، بدون تاريخ، ص ١٥٠ - ١٥٢.

(٤) الهرثمي، أبو سعيد الشهراني ت (٢٣٤هـ): **مختصر سياسة الحروب**، تحقيق: عبدالرؤوف عون، القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ط ١٩٦٤، ص ٢٠.

(٥) الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت ٨٥٠): **المستطرف في كل فن مستظرف**، جـ١، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ص ٤٦٤ ـ ابن الأزرق، أبو عبدالله: **بدائع السلك في طبائع الملك**، جـ ١، بغداد: منشورات وزارة الثقافة، ط ١٩٧٨، ص ١٦٢ - ١٦٣.

(٦) الجويني، أبو المعالي: **غياث الأمم في النيات الظلم**، الإسكندرية: دار الدعوة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ١٥٧.

(٧) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج: **صفة الصفوة**، جـ ١، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٨٢.

(٨) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم: **الخراج**، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا، القاهرة: دار الإصلاح، بدون تاريخ، ص ٣٦١. وانظر: ابن الأزرق حيث يقول: (وابعث على عمالك بحضرتك وقاصيتك، عيوناً ينهون إليك ما وقفوا عليه من زللهم وفجورهم، وما شجر بين رعيتك وبينهم. . واعرض ما أنهي إليك عنهم على خبرتك. . وإن عثرت على عين بينهم بظن جائر بقول كاذب، فعاقبه على ذلك، وتجنب استعماله ما بقيت. . ويلزم الإمام في كل جهة من جهات بلده أن يفد عليه من خيارهم وعلمائهم ليستخبرهم عن حال الأمير والناس. . فإذا وفدوا عليه انفرد بهم واحداً واحداً حتى يقف على الحق من الباطل في أمر الناس وأمر ولاته وجميع أحوال عماله). بدائع السلك في طبائع الملك، جـ ١ ص ٣٣٨ - ٣٣٩.

(٩) نظير سعداوي: **نظام البريد في الدولة الإسلامية**، القاهرة: مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، ١٣٧٢هـ/ ١٩٥٣م. جاء في وصية للخليفة عمر (رضي الله عنه) إلى قائده سعد بن وقاص (وليكن عندك من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه، فإن الكذوب لا ينفعك خبره وإن صدقك في بعضه والغاش عين عليك وليس عيناً لك). بدائع السلك في طبائع الملك، جـ ٢، ص ٤٠٤، ويذكر الهرثمي (لتكن عيونك وجواسيسك ممن تثق بصدقه ونصحه فإن الظنين لا ينفعك خبره وإن كان صادقاً، والمتهم عين عليك لا لك) مختصر سياسة الحروب، ص ٢٤.

(١٠) ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت ٦٣٠ هـ): **الكامل في التاريخ**، جـ ٢، بيروت: دار صادر، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص ٤١٧ .

(١١) الرملة: مدينة عظيمة في فلسطين، وكانت رباطاً للمسلمين، ونسب إليها قوم من أهل العلم، نزل بها سليمان بن عبدالملك أثناء خلافة أخيه الوليد وبنى بها قصراً وعمرها، وأذن للناس أن يبنوا فيها. ياقوت، شهاب الدين أبو عبدالله (ت ٦٢٦هـ): **معجم البلدان**، جـ٥، بيروت: دار صادر، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م، ص ٦٩.

(١٢) ابن عبدالحكم، عبدالرحمن بن عبدالله (ت ٢٥٧ هـ): **فتوح مصر وأخبارها**، القاهرة: بغداد مكتبة المثنى، ط أبريل ١٩٢٠، ص ٦١.

(١٣) الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): **تاريخ الرسل والملوك**، جـ ٣، بيروت: مكتبة خياط، بدون تاريخ، ص ٦٠٥ - ٦٠٦.

(١٤) الواقدي، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ): **فتوح الشام**، جـ ٢، القاهرة: مطبعة الحلبي، بيروت: دار الجيل، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م، ص ٦٠. قرقيسيا: وهي بلدة على نهر الخابور وتقع على مثلث بينه وبين الفرات فتحها المسلمون في عام ١٦هـ، معجم البلدان، جـ ٨، ص ٣٢٨ .

(١٥) عبدالرؤوف عون: **الفن الحربي في صدر الإسلام**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١م، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(١٦) ابن أعثم، أبو محمد أحمد (ت ٣١٤ هـ): **الفتوح**، جـ ١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١١٩.

(١٧) مختصر سياسة الحروب، ص ٤٩.

(١٨) ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد: **العقد الفريد**، جـ ١، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ص ١٢٩. جاء في وصية للخليفة الصديق رضي الله عنه إلى قائده يزيد عندما كان متوجهاً إلى بلاد الشام (إذا دخلت بلاد العدو فكن بعيداً عن الحملة، فإني لا آمن عليك - الجولة.. وسر بالأدلاء ولا تقاتل بمجروح.. واحترس من البيات.. وأقلل من الكلام فإن لك ما وعى عنك). وانظر: محمد فرج: **فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية**، القاهرة: ١٣٧١هـ / ١٩٧٣م، ص ٣٠ - ٣٢.

(١٩) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ): **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، جـ ٢، بيروت: دار الأندلس للطباعة، ١٩٧٨م، ص ٣٠٢ - ٣٠٣. الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤٠٤. العقد الفريد، جـ ١، ص ١٢٩. جاء في وصية للخليفة الصديق إلى قائده يزيد (إذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكركم وهم جاهلون به ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك..).

(٢٠) فن إدارة المعركة في الحروب الإسلامية، ص ٣٨ وما قبلها.

(٢١) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٤٩. محمد فرج: **المدرسة العسكرية**، القاهرة: دار الفكر، بدون تاريخ، ص ١٦٣.

(٢٢) أحمد عادل كمال: **الطريق إلى المدائن**، بيروت: دار النفائس، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م، ص ٤٥٨.

(٢٣) المستطرف في كل فن مستظرف، ص ٢٠٠.

(٢٤) البيهقي ، إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٠هـ): **المحاسن والمساوىء**، بيروت: دار بيروت للنشر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م، ص ١٤٣.

(٢٥) الكتاني، محمد عبدالحي: **التراتيب الإدارية**، جـ ١، الرباط: بدون تاريخ، ص ٣٦٣.

(٢٦) بدائع السلك في طبائع الملك، جـ ١، ص ٣٧٣.

(٢٧) صفة الصفوة، جـ ١، ص ٢٨٢.

(٢٨) العقاد: **عبقرية عمر**، القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر، بدون تاريخ، ص ٩٠.

(٢٩) المحاسن والمساوىء، ص ١٥٢.

(٣٠) نظام البريد في الدولة الإسلامية، ص ٥٠. التراتيب الإدارية، جـ ١، ص ٣٦٣.

(٣١) العلاء بن الحضرمي: أسلم مبكراً، بعثه الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المنذر أمير البحرين يدعوه إلى الإسلام ثم ولاه (صلى الله عليه وسلم) البحرين ثم ولاه الخليفة عمر البصرة ومات في سنة ٢١هـ وقيل في سنة ٢٤هـ. صفة الصفوة، جـ ١، ص ٦٩٤.

(٣٢) الفتوح، جـ ١، ص ٤٥. الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص٣٧٠. ابن كثير، عماد الدين أبو الفدى إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ): **البداية والنهاية**، جـ ٦، بيروت: مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٦م، ص ٣٢٨. الطريق إلى المدائن، ص ١٧٧ - ١٧٨.

(٣٣) المحاسن والمساوىء، ص ٣٣. **فن إدارة المعركة**، ص ٣٠ - ٣١.

(٣٤) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٣٤٤. ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله القرطبي ت ٤٦٣: **الاستيعاب في أسماء الأصحاب**، جـ٣، القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٣٩م، ص ٤٩٦. الطريق إلى المدائن، ص ٢٠٥ - ٢٠٦.

(٣٥) الطريق إلى المدائن، ص ٣٤٢.

(٣٦) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٣٧٤.

(٣٧) الطريق إلى المدائن، ص ٣٥٣.

(٣٨) المثنى بن حارثة: وفد على الرسول (صلى الله عليه وسلم) سنة تسع مع وفد من قومه، وسيره الخليفة أبو بكر (رضي الله عنه) إلى العراق قبل سير خالد، وتوفي قبل القادسية علي بن الحسين الهاشمي - تاريخ من دفن في العراق من الصحابة - بيروت: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.

(٣٩) الطريق إلى المدائن، ص ٣٣٩.

(٤٠) تاريخ الرسل والملوك، جـ٣، ص ٥٠٨.

اتهم رستم عرب الحيرة بالتجسس لحساب المسلمين وقال لهم: (كنتم عيوناً لهم علينا، وقويتموهم بالأموال).

(٤١) الطريق إلى المدائن، ص ٤١٧.

(٤٢) الطريق إلى المدائن، ص ٤٢٥.

(٤٣) الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤١٥.

(٤٤) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٤٦٤ - ٤٦٦.

(٤٥) الفتوح، جـ ١، ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

(٤٦) الفتوح، جـ ١، ص ١٣٩.

(٤٧) الفتوح، جـ ١، ص ١١٤.

(٤٨) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٤٣٩. الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤٢٨. الذهبي، شمس الدين أبو

عبدالله: **تاريخ الإسلام (عهد الخلفاء الراشدين)**، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ١٢٥.

(٤٩) الفتوح، جـ ١، ص ١١٨.

(٥٠) الفتوح، جـ ١، ص ١٨٠.

(٥١) شيزر: قرية بالشام قرب المعرة بينها وبين حماة يوم وينسب إليها الأمراء من آل منقذ.

(٥٢) بصرى: من أعمال دمشق، وهي قصبة كورة حوران، ولما سار خالد من العراق إلى الشام قدم على المسلمين وهم نازلون ببصرى وصالحوا أهلها في عام ١٣ هـ. معجم البلدان، جـ ٢، ص ٤٤١.

(٥٣) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٠٨ - ١١٠ - ٢١٦.

(٥٤) فتوح الشام، جـ ٢، ص ٢.

(٥٥) فتوح الشام، جـ ٢، ص ٤٠.

(٥٦) فتوح الشام، جـ ٢، ص ٤٢ - ٤٣.

(٥٧) فتوح الشام، جـ ٢، ص ٧٩ - ٨٠ - ٩٦ - ٩٧.

(٥٨) نصر بن مزاحم ت ٢١٢ هـ: **وقعة صفين**، القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ص ٩٦. ذكر نصر أن أصحاب الخليفة علي حذروه من جواسيس كانوا يتجسسون لحساب معاوية إذ قالوا له: «يا أمير المؤمنين إن هؤلاء والله ما أتوك بنصح، ولا دخلوا عليك إلا بغش، فاحذرهم فإنهم أدنى للعدو.. وكذلك حذروه من حنظلة بن الربيع).

(٥٩) **وقعة صفين**، ص ٤٦٨.

(٦٠) وقعة صفين، ص ٢٧.

(٦١) وقعة صفين، ص ٦٨.

(٦٢) مختصر سياسة الحروب، ص ٢٤ - ٢٥. حيث جاء فيه (لا تعرفن أحداً من الجواسيس صاحبه فإنه لا تؤمن ممالأتهم العدو وتواطئهم على الغش أو أن يورط بعضهم بعضاً.. وتوق أن يعرف أحد من أهل عسكرك عيونك.. وإن لم يمكنك التفرد بمعاملتهم في ستر، فليكن لكل واحد منهم رجل من أوثق خاصتك.. يتولى إيصاله إليك، ولا يعلم بعضهم بعضاً).

(٦٣) بدائع السلك في طبائع الملك، جـ ٢، ص ٦٣. محمد الدغمي: **التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية**، عمان: نشر جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص٧٨.

(٦٤) بدائع السلك في طبائع الملك، جـ ٢، ص ٦٤.

(٦٥) الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤٦٠.

(٦٦) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٢٨ - ٢٩، الطريق إلى المدائن، ص ٤٥٥.

(٦٧) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٠.

(٦٨) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٠٩.

(٦٩) البداية والنهاية، جـ ٦، ص ٣١١.

(٧٠) الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص٤٠٤.

(٧١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ ٢، ص ٣٢. رفيق الدقدوقي: **الجندية في عهد الدولة الأموية**، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، ص ١٧٧.

(٧٢) وقعة صفين، ص ١٢٤.

(٧٣) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٤٧٤.

(٧٤) فتوح الشام، جـ ١،ص ١١٨.

(٧٥) فتوح الشام، جـ ١، ص ٤٤.

(٧٦) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٠٩.

(٧٧) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٥١.

(٧٨) فتوح الشام، جـ ١، ص ١١٥.

(٧٩) بدائع السلك في طبائع الملك، جـ ١، ص ١٦٨.

(٨٠) بدائع السلك في طبائع الملك، جـ ١، ص ١٦٤.

(٨١) انظر بعض وصايا الخلفاء التي وردت في البحث.

(٨٢) الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٣٤٦.

(٨٣) الحيرة: مدينة على ثلاثة أميال من الكوفة، وكانت مسكن لبعض ملوك العرب في الجاهلية، وسكنها عدد من القبائل العربية. معجم البلدان، جـ ٤، ص ٣٨٢.

(٨٤) أليس: وهي في أول أرض العراق من ناحية البادية وهي قرية من قرى الأنبار. . معجم البلدان، جـ ١، ص ٢٤٨.

(٨٥) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص٤٧٣ - ٤٧٤.

(٨٦) فتوح الشام، جـ ١، ص ٦٣ - ٦٤.

(٨٧) حصن الرستن: لم أجد له تعريفاً في الكتب التي تمكنت من الاطلاع عليها.

(٨٨) فتوح الشام، جـ ٢، ص ٩٦ - ٩٧.

(٨٩) الفتوح، جـ ١، ص ٣٦٠.

(٩٠) من المعروف أن العيون أحياناً كانت تتزيا بزي العجم، تاريخ الرسل والملوك، جـ٣، ص٨٦. فتوح الشام، جـ ١، ص ٥٤ - ٥٥.

(٩١) المستطرف في كل فن مستظرف، جـ ١، ص ٤٦٩.

(٩٢) البداية والنهاية، جـ ٦، ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

(٩٣) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٤٦٩. الطريق إلى المدائن، ص ٤٣٨.

(٩٤) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٤٧٣ - ٤٧٤. الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤٤٥.

(٩٥) الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤٤٧. الطريق إلى المدائن، ص ٤٣٨.

(٩٦) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٤٠٩ - ٤١٦.

(٩٧) البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي: **فتوح البلدان**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م، ص ١٥٥.

(٩٨) فتوح البلدان، ص ١٦٤.

(٩٩) ارواد: جزيرة في البحر تقع عند الساحل السوري قرب طرطوس إلى الشمال من طرابلس الشام. معجم البلدان، جـ ١، ص ١٦٢.

(١٠٠) الفتوح، جـ١، ص ٣٦٧.

(١٠١) التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية، ص ٧٨.

(١٠٢) الفتوح، جـ ١، ص ٣٤٧ - ٣٤٨. نجدة خماش: «إدارة الولايات في العصر الأموي» **رسالة ماجستير**، مقدمة لجامعة دمشق، بدون تاريخ، ص ١٧٤.

(١٠٣) الفتوح، جـ ١، ص ٣٤٨.

(١٠٤) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(١٠٥) الأسدي، محمد بن خليل: **التيسير والاعتبار والتحرير والاختيار**، تحقيق: عبدالقادر طليمات، دار الفكر، ١٩٦٨م، ص ١٥٤.

(١٠٦) الفتوح، جـ ١، ص ١٩.

(١٠٧) فتوح الشام، جـ ١، ص ٨ - ١٠.

(١٠٨) فتوح الشام، جـ ١، ص ٤٤ - ٥٣ - ٥٤.

(١٠٩) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٤١٨. الفتوح، جـ ١، ص ١١٩. الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤١٧.

(١١٠) العقد الفريد، جـ ١، ص ١٤.

(١١١) الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤٩٠ - ٤٩١.

(١١٢) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٧٢.

(١١٣) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(١١٤) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٨٠ - ١٨١.

(١١٥) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ١٢ - ١٣.

(١١٦) الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٤٠٤.

(١١٧) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٥٣٣.

(١١٨) الفتوح، جـ ١، ص ٣١. الكامل في التاريخ، جـ ٢، ص ٣٦٢.

(١١٩) فتوح الشام، جـ ١، ص ١٥٢.

(١٢٠) فتوح الشام، جـ ١، ص ٦٣ - ٦٤.

(١٢١) فتوح البلدان، ص ١٤٧.

(١٢٢) جاء في تحذير عمرو بن العاص لرجاله قوله: (ما حملكم على قتل الجاسوس؟ وهلا أتيتموني به لأستخبره؟ فكم من عين تكون علينا ثم إنها ترجع فتصير لنا، ثم إنه نادى في جيشه من وقع بغريب أو جاسوس فليأت به إليَّ. . .) وعندما هجم الروم على المسلمين قال لهم عمرو: (لو أن الجاسوس الذي قتلتموه لم تعجلوا عليه، لأخبرنا بمسير هذا الجيش إلينا وكثرته وكنا قد أخذنا حذرنا على أنفسنا ولكن أمر الله لا يرد). فتوح الشام، جـ ٢، ص ١٠.

(١٢٣) فتوح الشام، جـ ٢، ص ٤٧.

(١٢٤) الفتوح، جـ ١، ص ٢٧٩.

(١٢٥) تاريخ الرسل والملوك، جـ ٣، ص ٨٠.

* * *